الفصل الثاني

حفظه الخارق من معجزات النبوة

هاجر أبو هريرة إلى الله وهو في فَوْرة الشَّباب، يحمل معه كلَّ ما تتصف به هذه المرحلة من العمر من تفتُّح الذِّهن، وتوقُّد الذَّكاء، وعلوِّ الهمَّة، وكثرةِ الآمال، وازدحام الطموحات. ووجَّه هذا الشابُّ المهاجر كلَّ هذه الطاقات الجيّاشة والمِنَح الربانية لخدمة الإسلام، ووضع لنفسه منهجاً واضحَ المعالم محدَّد الأهداف، فأَفرغَ بالَهُ من هموم الدنيا، وأَراح نفسه من قضاء شَطْر العمر في مكاسبها المُباحة، وصَرَف كلَّ هَمِّه لملازمة النبي ﷺ وحفظِ السُّنَّة، وألقى بكلِّ إمكانيته في سلوك هذا السبيل لتحقيق هدفه النبيل، وأقبل على بحر النبوة الفَيَّاض ينهل من مَعِينه المبارك. وساعده على ذلك حافظتُه النقية الصافية التي لم يُثْبِت فيها أشياء تُذْكَر، فكأنَّ القدر الأعلى قد ادَّخَرها ليدوِّن فيها البيانَ الإلـهي والحديثَ النبوي، لا يُزاحمهما على صفحتها شيءٌ من أشعار العرب وتواريخهم وأنسابهم، وقد اشتَهَر العرب، وأبو هريرة واحد منهم، باعتمادهم على الذاكرة، وقلة اعتنائهم بالكتابة والتدوين.

ولم يكتفِ إمامنا بذلك، بل جدَّ واجتهد، وشمَّر عن ساعد الجد،

وأقبل على حديثه يُذاكره ويُكرِّره ويُديم ترداده كل يوم، ففي ذلك حياته وحفظه، فكان يُخصِّص ثلثاً من الليل لهذا العمل العظيم والعبادة الرفيعة، مما ساعده على تثبيت حفظه ومزيد ضبطه.

لكنه كان في كل يوم من أيامه مع رسول الله ﷺ، بل ربما في كل ساعة موقف، يسمع منه حديثاً طَريفاً، وحُكْماً جديداً، والوقائعُ تترى، والأحاديث تتوالى، والأيام تتلاحق، وأقواله ﷺ وأفعاله وسُنَنُه وهَدْيه في تزايد مُطَّرِد، مما أدَّى إلى ازدحام الأحاديث وكثرتها عند أبي هريرة، فقَذَفَ ذلك في عقله الذكي وقلبه الطاهر ونفسه المؤمنة الصادقة المصدقة، خشيةً على ما يسمعه ويتلقاه من سُنَن، وتخوَّفَ من أن يتفلَّت منه بعض الأحاديث أو ألفاظٌ منها قد تُخلّ بالمقصود العام، كما خاف أن يَغيب عن ذِهْنِه بعضُ كلمات البيان النبوي العالي ـ وكلُّ كلامه عالٍ فَصْل ـ فيحدِّثَ بما يُراد منها، وهو حريصٌ أشدَّ الحِرْص على أدائها كما هي بتمامها. هذا وذاك حدا بأبي هريرة إلى أن يسعى لتلافي أيَّ نقص أو خلل أو سهو أو نسيان لما يسمع ويحفظ. وهو قد رأى وروى الكثير من معجزات رسول الله ﷺ وبركاته واستجابة دعواته. فدفعه كل ذلك إلى أن يشكو لحبيبه المصطفى ﷺ ما يخافه ويخشاه، وطَمِع بدعوة نبوية مباركة، تكفيه هذه المخاوف وتحميه من عقابيلها. فألْفَى عطفَ النبوة الغامر والحبَّ الأكيد، فدَعَا ﷺ له بما يحب، بل وخَصَّه بذلك من بين الصحابة أجمعين، فتفرَّد أبو هريرة رضي الله عنه ببركة دعوة رسول الله ﷺ بالحفظ التام والضبط الوثيق، فكان لا يُسْقِط حرفاً مما سمع وحفظ.

والعلم مواهب، وفضل الله واسع، ونِعَمه متواترة يخصُّ بها من يشاء من عباده.

وقد جاءت بعض الأخبار بأن أبا هريرة كان يعتمد على ذاكرته ولا يدوِّن العلم، وأفادت روايات أخرى بأن عنده كُتُباً ينظر فيها. ويبدو من تدقيق النظر في طرفَيْ هذه الأخبار أنه كان يعتمد على حافظته في السماع والحفظ، لكنه بعد وفاة رسول الله ﷺ دَوَّن أحاديثَه الكثيرة جداً، وذلك ليعود إليها إذا تقادم الزمن، وينظر فيها إذا شكَّ في لفظة أو عبارة، وذلك فيه مزيد من التوثيق والضبط، فالكتاب لا يُنافي الحفظ والإتقان عند التحمل والأداء، والله أعلم.

إقباله على سماع الحديث وحفظه:

قال إسماعيل بن أبي خالد: سمعت قيس بن أبي حازم، يقول: سمعت أبا هريرة، يقول: (صَحِبْتُ رسولَ الله ﷺ ثلاثَ سِنينَ، لم أكنْ في شيء أحرصَ منِّي أن أحفظَ شيئاً في تلك السنين...).

وفي رواية: عن أبي هريرة قال: (صحبتُ النبيَّ ﷺ ثلاثَ سنين، ما كنتُ سنواتٍ قطُّ أَعْقَلَ منِّي ولا أَحَبَّ إليَّ أن أَعِيَ ما يقول رسول الله ﷺ منِّي فيهنَّ)[1].

---

(١) أخرج الحميدي الرواية الأولى (١٠٥٦)؛ وابن سعد الرواية الثانية: ٤/ ٣٢٧؛ وأخرج البخاري (٣٥٩١)؛ والفسوي: ٢/ ٧٤٠، ٣/ ١٦١ ـ ١٦٢=

وقال عبد الله بن أبي يحيى: سمعت سعيد بن أبي هند، عن أبي هريرة: (أن رسول الله ﷺ قال: «ألا تَسْأَلُني من هذه الغنائم التي يَسْأَلُني أصحابُكَ»؟ فقلتُ: أسألُك أن تُعَلِّمَني مما عَلَّمَكَ الله، قال: فنَزَع نَمِرةً على ظهري، فبَسَطها بين وبينه، حتى كأنِّي أنظرُ إلى القمل يدبُّ عليها، فحدَّثَني، حتى إذا استوعبتُ حديثه، قال: «اجمَعْها فَصُرْها إليك»، فأصبحتُ ولا أُسْقِط حرفاً مما حَدَّثني)[1].

أحاديث بَسط الثوب ودعوة النبوة ﷺ له بالحفظ:

قال ابن شهاب: وقال ابن المسيِّب: إن أبا هريرة قال: (يقولون: إنَّ أبا هريرة قد أَكْثَرَ، واللهُ الموعِدُ. ويقولون: ما بالُ المهاجرينَ والأنصارِ لا يتحدَّثون مِثْلَ أحاديثه؟ وسأخبرُكم عن ذلك: إن إخواني من الأنصار كان يشغلُهم عملُ أَرَضِيهم، وإن إخواني من المهاجرين كان يَشغلُهم الصَّفْقُ بالأسواق. وكنتُ أَلزمُ رسول الله ﷺ على مِلْءِ بطْني، فأشهدُ إذا غابوا، وأحفظُ إذا نَسُوا. ولقد قال رسول الله ﷺ يوماً: «أيُّكم يَبْسُط ثوبَهُ فيأخذُ من حديثي هذا، ثم يَجْمَعُه إلى صَدْرِه، فإنه لم ينسَ شيئاً سَمِعَهُ»؟ فبَسَطتُ بُرْدَةً عليَّ، حتى فَرَغَ من حديثه، ثم جمعتُها إلى صدري، فما نَسِيتُ بعد ذلك اليوم شيئاً حَدَّثني بـه. ولولا آيتانِ أنزلَهما الله في كتابه

= وغيرهم، وقد مرّ، ص٧٠ حاشية (٢)، وص٢٤٠ حاشية (٢).

(١) الحلية: ١/ ٣٨١؛ وابن عساكر: ٦٧/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩؛ وذكره الذهبي في السير: ٢/ ٥٩٤، وقال شعيب الأرناؤوط: رجاله ثقات.

ما حَدَّثْتُ شيئاً أبداً: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ . . . ﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠])[1]. لفظ مسلم.

وعن سعيد المَقْبُريِّ، عن أبي هريرة قال: (قلتُ: يا رسولَ الله، إني أَسمعُ منك حديثاً كثيراً أنساهُ، قال: «ابسُطْ رِداءَكَ»، فبَسَطتُه، قال: فغَرَف بيدَيْهِ، ثم قال: «ضُمَّهُ»، فضَمَمْتُه، فما نسِيتُ شيئاً بعدَه)[2].

وروى معاوية بن هشام، عن الوليد بن عبد الله بن جُمَيْع، عن أبي الطُّفَيل، عن أبي هريرة قال: (شَكَوتُ إلى رسول الله ﷺ سُوءَ الحفظِ، قال: «افتحْ كِسَاءَكَ»، قال: ففَتحتُه، قال: «ضُمَّهُ»، قال: فما نَسِيتُ بعدُ شيئاً)[3].

وقال النَّسائي: أخبرنا محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا الفَضْل بن العلاء، قال: حدثنا إسماعيل بن أمية، عن محمد بن قَيْس، عن أبيه أنه

---

(١) أخرجه الحميدي (١١٤٢)؛ وأحمد (٧٢٧٥) و(٧٧٠٥)؛ والبخاري (١١٨) وأطرافه؛ ومسلم (٢٤٩٢)؛ والنسائي في الكبرى (٥٨٣٥)؛ وأبو يعلى (٦٢٤٨)؛ وابن حبان (٧١٥٣)؛ وابن سعد: ٤/ ٣٣٠ وغيرهم. ومعنى (والله الموعد): إن الله تعالى يحاسبني إن تعمدت كذباً، ويحاسب من ظن بي ظن السوء.

(٢) أخرجه البخاري (١١٩) ـ واللفظ له ـ؛ وابن سعد: ٢/ ٣٦٢، ٤/ ٣٢٩، وهو طرف من الحديث السابق.

(٣) أخرجه أبو يعلى (٦٢١٩)، وقال محققه: إسناده قوي.

أخبره: (أن رجلاً جاء زيدَ بن ثابت، فسألَهُ عن شيء، فقال له زيد: عليكَ أبا هريرة، فإني بينما أنا وأبو هريرة وفلانٌ في المسجد ذات يوم ندعو الله ونذكر ربَّنا، خَرج علينا رسول الله ﷺ حتى جلس إلينا، فَسَكَتْنا، فقال: «عُودوا للذي كنتم فيه». قال زيدٌ: فدعوتُ أنا وصاحبي قبل أبي هريرة، وجعل رسول الله ﷺ يُؤَمِّن على دُعائنا، ثم دعا أبو هريرة فقال: اللهم إني أسألُكَ مثلَ ما سألَكَ صاحبايَ هذانِ، وأسألُكَ عِلْماً لا يُنْسى، فقال رسول الله ﷺ: «آمين»، فقلنا: يا رسول الله، ونحن نسألُ اللهَ علماً لا يُنسى، فقال: «سَبَقكُم بها الغلامُ الدَّوْسِيُّ»)[1].

الدعوة بالحفظ وعدم النسيان تشمل كل ما سمعه من النبي ﷺ في ذلك المجلس وما بعده:

قال الحافظ في شرح حديث سعيد المَقْبُريِّ عن أبي هريرة المتقدم ذِكْره: (قوله: (فما نسيتُ شيئاً بعده): تنكيرُ «شيئاً» بعد النفي ظاهر العموم في عدم النسيان منه لكل شيء من الحديث وغيره. ووقع في

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٥٨٣٩)؛ وذكره الحافظ في الإصابة: ٤/ ٢٠٥؛ وعزاه للنسائي وجوَّد إسناده؛ وأخرجه الحاكم: ٣/ ٥٠٨ من طريق حماد بن شعيب عن إسماعيل بن أمية، وصححه، وخالفه الذهبي فقال: حماد ضعيف. وذكره الذهبي في السير: ٢/ ٦٠٠، ٦١٦، ولم ينفرد به حماد بن شعيب، بل تابعه الفضل بن العلاء وهو صدوق حسَن الحديث، فالحديث جيد الإسناد كما قال ابن حجر.

رواية ابن عُيينة وغيره عن الزهري في الحديث الماضي[1]: (فو الذي بَعَثه بالحقِّ ما نسيتُ شيئاً سمعتُه منه)، وفي رواية يونس عند مسلم: (فما نَسيتُ بعد ذلك اليوم شيئاً حدَّثني به)، وهذا يقتضي تخصيصَ عدمِ النسيان بالحديث. ووقع في رواية شُعيب: (فما نسيت من مقالته تلكَ من شيء)، وهذا يقتضي عدمَ النسيان بتلك المقالة فقط، لكن سياق الكلام يقتضي ترجيحَ رواية يونس ومن وافقه، لأن أبا هريرة نَبَّه به على كثرة محفوظه من الحديث، فلا يصحُّ حملُه على تلك المقالة وحدها. ويَحتمل أن تكون وقعتْ له قضيتان: فالتي رواها الزهري مختصَّةٌ بتلك المقالة، والقضية التي رواها سعيد المَقْبُرِيّ عامة)[2].

قلت: ويؤيِّد أن عدمَ النسيانِ عامٌّ يَشمل كلَّ الأحاديث التي سمعها من النبي ﷺ في تلك المقالة وما بعدها: أنَّ حِفْظَ حديثِ جلسةٍ واحدة مع رسول الله ﷺ أمرٌ ممكن لكثيرٍ من الناس، وبخاصة أن النبي ﷺ لم يكن يُكثر من الحديث في المجلس الواحد، وكان ـ كما قالت عائشة رضي الله عنها ـ يحدِّث حديثاً لو عَدَّهُ العادُّ لأحصاهُ. وأيضاً فإن أبا هريرة قال للنبي ﷺ: (إني أسمع منك حديثاً كثيراً)، وهو تعبير يُفيد الاستمرار والتجدد. وكذلك ما جاء في روايات الحديث الكثيرة من ألفاظ تفيد عمومَ عدم النسيان، منها:

---

(١) يعني حديث ابن شهاب عن ابن المسيب الذي ذكرته في صدر الفقرة السابقة.
(٢) الفتح: ١/ ٢١٥.

رواية الحُميدي من طريق الأعرج: (فو الذي بَعَثَه بالحقِّ ما نسيتُ شيئاً بعدُ سمعتُه منه)[1].

وفي رواية مسلم وابن حِبَّان عن ابن المسيِّب: (فما نسيتُ بعد ذلك اليوم شيئاً حَدَّثني به)[2].

وفي رواية البخاري وغيره عن المَقْبُرِيِّ: (فما نسيتُ شيئاً بعدَه)[3].

وثاقة حفظه واختبارهم له فيه:

روى الأعمش، عن أبي صالح: (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلَّى أحدُكم ركعتي الفجر، فَلْيَضْطَجِع على يمينه». فقال له مروان بن الحَكَم: أمَا يُجزي أحدَنا ممشاهُ إلى المسجد حتى يضطجعَ؟! قالوا: لا. قال: فَبَلغ ذلك ابن عُمر، فقال: أكثر أبو هريرة، قال: فقيل لابن عمر: هل تُنكِرُ شيئاً مما يقول؟ قال: لا، ولكنه أَكْثَرَ وجَبُنَّا، فبَلَغ ذلك أبا هريرة، فقال: ما ذَنْبي إنْ حفظتُ شيئاً ونَسُوا!)[4].

---

(١) الحميدي (١١٤٢)؛ وبنحوه عند أحمد (٧٢٧٥) من طريق الأعرج أيضاً.

(٢) مسلم (٢٤٩٢)؛ وابن حبان (٧١٥٣).

(٣) البخاري (١١٩)، وقد تقدمت في الفقرة السابقة.

(٤) أخرجه ابن حبان (٢٤٦٨) ـ واللفظ له ـ؛ وابن خزيمة (١١٢٠)؛ وأبو داود (١٢٦١)؛ وابن عساكر: ٦٧/ ٣٤٩؛ وذكره الحافظ في الإصابة: ٤/ ٢٠٦ =

وروى ابن أبي ذِئْب، عن سعيد المَقْبُريِّ قال: قال أبو هريرة: (يقول الناس: أَكْثَرَ أبو هريرة، فلَقِيتُ رجلاً فقلت له: بأيِّ سورة قرأ رسول الله ﷺ البارحةَ في العَتَمةِ؟ فقال: لا أدري، فقلتُ: أَلَمْ تَشْهَدْها؟ قال: بلى، قلت: ولكنِّي أَدري، قرأ بسورة كذا وكذا)[1].

وقال رَوْح بن عُبادة: حدثنا كَهْمَس، عن عبد الله بن شَقيق قال: (جاء أبو هريرة إلى كعب يسألُ عنه، وكَعْبٌ في القوم، فقال كعب: ما تُريد منه؟ فقال: أَمَا إني لا أَعرِفُ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أن يكونَ أحفظَ لحديث رسول الله ﷺ مني)[2].

وروى عَوْف الأعرابيُّ، عن سعيد بن أبي الحسن قال: (لم يكن أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ أكثرَ حديثاً من أبي هريرة على النبي ﷺ، وإن مروانَ ـ زمن هو على المدينة ـ أراد أن يُكتِبه حديثَه كلَّه، فأبَى وقال: ارو كما رَوَيْنا. فلما أَبَى عليه، تغفَّلَه وأقعدَ له كاتباً لَقِناً ثَقِفاً، ودعاه،

= من فوائد المزكي، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح. وأخرج المرفوع دون القصة: أحمد (٩٣٦٨)؛ والترمذي (٤٢٠)؛ والنسائي في الكبرى (١٤٦٠)؛ وابن ماجه (١١٩٩) وغيرهم.

(١) أخرجه أحمد (١٠٧٢٢) ـ واللفظ له ـ؛ والبخاري (١٢٢٣)؛ وابن سعد: ٢/ ٣٦٣.

(٢) أخرجه ابن سعد: ٤/ ٣٣٢ ـ واللفظ له ـ؛ والدارمي (٢٨٤)؛ وابن عساكر: ٦٧/ ٣٤١، ورجاله ثقات.

فجعل أبو هريرة يحدِّثُه، ويكتب الكاتب، حتى استفرَغَ حديثه أجمع. ثم قال مروان: تعلمُ أنا قد كتبنا حديثَك أجمع؟ قال: وقد فعلتَ؟! قال: نعم، قال: فاقرؤوه عليَّ، فقرؤوه، فقال أبو هريرة: أَمَا إنكم قد حَفِظْتُم، وإن تُطِعْني تَمْحُه، قال: فمحاه)[1].

وقال سُليمان بن حَرْب: حدثنا حماد بن زيد، حدثنا عَمْرو بن عُبيد الأنصاريُّ، حدثنا أبو الزُّعَيْزِعة كاتبُ مروان بن الحَكَم: (أنَّ مروان دَعَا أبا هريرة، فأقعدَني خَلْفَ السَّرير، وجعل يسألُه، وجعلتُ أكتبُ، حتى إذا كان عند رأس الحَوْل، دَعَا به، فأقعدَهُ وراء الحجاب، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب، فما زادَ ولا نَقَص، ولا قَدَّم ولا أَخَّر)[2].

وذكر الذهبي هذا الخبر في «السير» وعلَّق عليه فقال: (هكذا فليكن الحفظ)[3].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٥٠٩ ـ ٥١٠؛ والخطيب في تقييد العلم، ص٤١؛ وابن عساكر: ٦٧/ ٣٤٠؛ وذكره الذهبي في السير: ٢/ ٥٩٨، وقال شعيب الأرناؤوط: رجاله ثقات.

(٢) أخرجه الحاكم: ٣/ ٥١٠؛ وابن عساكر: ٦٧/ ٣٤٠؛ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ٨/ ١٠٦؛ والحافظ في الإصابة: ٤/ ٢٠٣، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي مع أن فيه أبا الزعيزعة، قال عنه الذهبي في الميزان: ٤/ ٥٢٥: لا يكاد يعرف!.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥٩٨.

وقال ابنَ وَهْب: أخبرني يونس، عن ابن شهاب: (أن أبا سَلَمة بن عبد الرحمن بن عوف حَدَّثَه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا عَدْوَى»، ويُحَدِّثُ: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ».

قال أبو سلمة: كان أبو هريرة يُحَدِّثُهما كِلْتَيْهِما عن رسول الله ﷺ، ثم صَمَتَ أبو هريرة بعد ذلك عن قوله: «لا عَدْوَى»، وأقام على أن «لا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ». قال: فقال الحارث بن أبي ذُبَاب ـ وهو ابن عَمِّ أبي هريرة ـ: قد كنتُ أسمعُكَ يا أبا هريرة تُحدِّثُنا مع هذا الحديثِ حديثاً آخر، قد سَكَتَّ عنه، كنت تقولُ: قال رسول الله ﷺ: «لا عَدْوَى»! فأَبَى أبو هريرة أن يَعْرِفَ ذلك، وقال: «لا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ» فماراه الحارث في ذلك، حتى غضِبَ أبو هريرة، فَرَطَنَ بالحَبَشِيَّة، فقال للحارث: أتدري ماذا قلتُ؟ قال: لا، قال أبو هريرة: قلتُ: أبيتُ.

قال أبو سلمة: ولَعَمْرِي، لقد كان أبو هريرة يُحدِّثُنا أن رسول الله ﷺ قال: «لا عَدْوَى»، فلا أدري أَنَسِيَ أبو هريرة، أو نَسَخَ أحدُ القولين الآخَرَ؟)[1]. لفظ مسلم.

قال الحافظ: (فأمَّا دعوى نسيان أبي هريرة للحديث فهو بحسب

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧٠) و(٥٧٧١) وانظر (٥٧٠٧)؛ ومسلم (٢٢٢١)؛ وأحمد (٩٢٦٣)؛ وابن حبان (٦١١٥) وغيرهم، وانظر تتمة تخريجه في المسند. قوله (كلتيهما): يعني القصتين أو المسألتين. وعند ابن حبان: (كليهما): يعني الحديثين.

ما ظنَّ أبو سلمة، وأما دعوى النَّسْخ فمردودةٌ، لأن النَّسْخَ لا يُصار إليه بالاحتمال، ولا سيما مع إمكان الجمع . . . ويَحتمِل أنهما لمَّا كانا خبرين متغايرين عن حُكْمين مختلفيْن لا ملازمةَ بينهما؛ جازَ عنده أن يُحدِّثَ بأحدِهما ويسكتَ عن الآخر، حسبما تدعو إليه الحاجة، قاله القرطبي في «المُفْهِم» قال: ويَحتمل أن يكون خافَ اعتقادَ جاهلٍ يظنُّهما متناقضَيْن، فسكتَ عن أحدِهما، وكان إذا أَمِنَ ذلك حدَّث بهما جميعاً)[1].

أقوال الأئمة في حفظه وضبطه وإتقانه:

روى الرَّبيع بن سُليمان، عن الشافعيِّ قال: (أبو هريرة أحفظُ مَنْ روى الحديث في دَهْرِه)[2].

وبوَّبَ إمام أئمة الدنيا في الحديث أبو عبد الله البخاري في «كتاب العلم» من صحيحه، فقال: (باب حِفْظ العِلْم)، وأورد فيه ثلاثة أحاديث عن أبي هريرة وحده دون غيره من الصحابة، وعلَّق الحافظ هنا فقال: (لم يَذكر في الباب شيئاً عن غير أبي هريرة، وذلك لأنه كان أحفظَ الصحابة للحديث)[3].

---

(١) الفتح: ١٠/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣. والمُمْرِض: هو الذي له إبل مرضى، والمُصِحّ: من له إبل صِحَاح، نهى صاحبَ الإبل المريضة أن يُورِدَها على الإبل الصحيحة.

(٢) الرسالة رقم (٧٧٢)؛ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٤١.

(٣) الفتح: ١/ ٢١٤.

وقال الإمام العلامة أبو المُظَفَّر السَّمْعاني في كتابه «الاصْطِلام»: (وقد اختصَّ أبو هريرة بمزيد الحفظ لدعاءِ رسول الله ﷺ له)[1].

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة أبي هريرة في «السير»: (وكان حفظُ أبي هريرة الخارق من معجزات النبوة). وقال: (وأين مثلُ أبي هريرة في حفظه وسعة علمه). وقال أيضاً: (وأبو هريرة إليه المُنتهى في حفظ ما سمعه من الرسول عليه السلام وأدائه بحروفه). وقال: (وقد كان أبو هريرة وثيقَ الحفظ، ما علمنا أنه أخطأ في حديث)[2].

وقال الحافظ في شرح أحاديث (بَسْط الثوب ودعوة النبي ﷺ لأبي هريرة بالحفظ): (وفي هذين الحديثين فضيلةٌ ظاهرة لأبي هريرة، ومعجزةٌ واضحة من علامات النبوة، لأن النسيان من لوازم الإنسان، وقد اعترف أبو هريرة بأنه كان يَكْثُرُ منه ثم تخلَّف عنه ببركة النبي ﷺ)[3].

وقال في «التهذيب» معلِّقاً على عدم النسيان الوارد في هذا الحديث: (وهو من علامات النبوة، فإن أبا هريرة كان أحفظَ من كل مَن يروي الحديث في عصره، ولم يأتِ عن أحدٍ من الصحابة كلِّهم ما جاء عنه)[4].

---

(١) الفتح: ٤/ ٣٦٥. وأبو المظفر هو جد السمعاني صاحب الأنساب.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥٩٤، ٦٠٩، ٦١٩، ٦٢١.
(٣) الفتح: ١/ ٢١٥.
(٤) تهذيب التهذيب: ١٢/ ٢٩٠.

وفي حديث أبي هريرة عن أجر الصلاة على الجنازة وشهود دَفْنِها، واعتراض ابن عُمر، وتصديق عائشة لأبي هريرة؛ يقول الحافظ: (وفي هذه القصة دلالة على تميُّز أبي هريرة في الحفظ)[1].

كتابته الحديث:

●● روى وَهْب بن مُنَبِّه، عن أخيه هَمَّام قال: سمعت أبا هريرة، يقول: (ما مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ أحدٌ أكثرَ حديثاً عنه منِّي، إلا ما كان من عبد الله بن عَمْرو، فإنه كان يَكْتُب ولا أَكْتُب). لفظ البخاري.

وفي رواية عن مجاهدٍ والمُغيرة بن حَكيم، عن أبي هريرة، قالا: سمعناه يقول: (ما كان أحدٌ أعلمَ بحديث رسول الله ﷺ منِّي، إلا ما كان من عبد الله بن عَمْرو، فإنه كان يَكتُب بيده، ويَعِيه بقَلْبِه، وكنتُ أَعِيه بقَلْبي، ولا أَكْتُب بيدي، واستأذَنَ رسولَ الله ﷺ في الكتاب عنه، فأذِنَ له)[2]. لفظ أحمد.

وروى الأوزاعيُّ، عن أبي كَثير الغُبَرِيِّ قال: سمعتُ أبا هريرة، يقول: (إنَّ أبا هريرة لا يَكتُم ولا يَكْتُب).

وفي رواية عن أبي كثير قال: سمعت أبا هريرة يقول: (نحن

---

(١) الفتح: ٣/ ١٩٥.

(٢) أخرجه البخاري (١١٣)؛ وأحمد (٩٢٣١) وغيرهما، وسيأتي مع تمام تخريجه والكلام عليه، ص٢٩٥ حاشية (٢).

لا نَكْتُب ولا نُكْتِب)[1].

وعن سعيد بن أبي الحَسن قال: (لم يكن أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ أكثرَ حديثاً من أبي هريرة عن النبي ﷺ، وإن مروانَ ـ زمن هو على المدينة ـ أراد أن يَكتب حديثه، فأبى وقال: ارْوِ كما رويناه)[2].

قلت: هذا ـ والله أعلم ـ للحضِّ على حفظِ الحديث ومذاكرته، وعدمِ الاتكال على الكُتُب والصُّحف، وليس من باب النهي عن كتابة الحديث، وقد صَحَّ عن أبي هريرة أنه أَذِن لغير واحد من تلامذته أن يَكْتُبوا عنه، وأملَى عليهم نُسَخاً كهمَّام بن مُنَبِّه وغيره.

●● وقد جاء في بعض الأخبار أنه كانت عند أبي هريرة كُتُب، مما قد يبدو مُعارِضاً لحديث همَّام عن أبي هريرة السابق ذِكْره: (كان يَكتب ولا أَكتُب):

قال ابن وَهْب: أخبرني عُبيد الله بن أبي جعفر، عن الفَضْل[3] بن حَسن بن عَمْرو بن أمية الضَّمْري، عن أبيه قال: (تحدثتُ عند أبي هريرة

---

(١) ابن سعد: ٢/ ٣٦٤؛ سنن الدارمي (٤٧٢)؛ جامع بيان العلم: ١/ ٧٩؛ تقييد العلم، ص٤٢؛ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٤٢.

(٢) تقييد العلم، ص٤١، وقد مرّ مطولاً، ص٢٦٢ حاشية (١).

(٣) في جامع بيان العلم: (الفُضَيل)، وهو تحريف، ونقله عنه محرَّفاً: الدكتور عبد الغني عبد الخالق في كتابه: «البخاري وصحيحه»، ص٩٠، والدكتور محمد عجاج الخطيب في كتابيه: «السنة قبل التدوين»، ص٣٤٧ و«أصول الحديث»، ص١٩٣.

بحديث، فأنكره، فقلتُ: إني قد سمعتُه منك، فقال: إنْ كنتَ سمعتَه منِّي فهو مكتوبٌ عندي، فأخذ بيدي إلى بيته، فأَرانا كُتباً كثيرة من حديث رسول الله ﷺ، فوجد ذلك الحديثَ، فقال: قد أخبرتُك أني إنْ كنتُ حدَّثْتُك به فهو مكتوبٌ عندي)[1].

قال ابن عبد البر: (هذا خلافُ ما تقدّم في أول الباب عن أبي هريرة أنه لم يَكتب، وأن عبد الله بن عَمْرو كَتَب، وحديثه بذلك أصحُّ في النقل من هذا لأنه أثبتُ إسناداً عند أهل الحديث)[2].

وضَعَّفه الذهبي في «تلخيص المستدرك» فقال: (هذا منكرٌ لم يَصِحّ)[3].

ونقله الحافظ في «الفتح» في موضعين وضَعَّفَه، وقال: (قال ابن عبد البر: حديث همَّام أصحُّ، ويمكن الجمع بأنه لم يكن يكتب في العهد النبوي ثم كَتَب بعده. قلت: وأقوى من ذلك أنه لا يَلزم من وجود الحديث مكتوباً عنده أن يكون بخطِّه، وقد ثَبَت أنه لم يكن يكتب، فتعيَّن أن المكتوب عنده بغير خَطِّه)[4].

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم: ١/ ٨٩؛ والحاكم في المستدرك: ٣/ ٥١١، وقال الذهبي: هذا منكر لم يصح. وأخرجه بنحوه أحمد في العلل برواية عبد الله (٣٨٠٧)؛ وابن عساكر: ٦٧/ ٣٤٢.

(٢) جامع بيان العلم: ١/ ٨٩.

(٣) المستدرك: ٣/ ٥١١.

(٤) الفتح: ١/ ٢٠٧، وأشار إليه، ص٢١٥، وقال: سنده ضعيف.

قلت: ومما يدلُّ على ضَعْف حديث ابن وَهْب أنه يُخالف الأحاديث الصحيحة الثابتة التي قدَّمناها من أن أبا هريرة كان يحفظ ولا ينسى شيئاً بعد دعوة النبي ﷺ له بذلك.

وقد جمع الحافظ ابن عساكر بين حديث أبي هريرة أنه (لا يكتب)، والحديث الآخر أن عنده كتباً؛ فقال: (ووجهُ الجمع بين هذه الحكاية والتي قبلها أن أبا هريرة كان لا يَكتب في حياة النبي ﷺ، ويتَّكِل على حفظِه، لِما خَصَّه به رسول الله ﷺ من بَسْط ردائه كما تقدم، ثم كَتَب بعد النبي ﷺ ما كان حَفظه عنه، ولولا أنه كان مكتوباً عنده لم يمكنه تقديره بوعاءين وثلاث جُرُب على ما بيَّنا، على أن حكاية ابن مُنَبِّه أصحُّ إسناداً من التي بعدها، والله أعلم)[1].

قلت: وهو كلام وجيه سديد، يجمع بين الأخبار ويؤلِّف بينها، والنفس تميل إليه، وليس ثمَّة ما يدلُّ على أن أبا هريرة كان يعرف القراءة دون الكتابة.

* * *

(١) ابن عساكر: ٦٧/ ٣٤٢ـ٣٤٣؛ مختصره: ٢٩/ ١٩٢.

الفصل الثالث

القارئ الإمام

عَرَض القرآنَ على النبي ﷺ جمهرةٌ كبيرة من الصحابة الكرام، فمدَحَهم رسول الله ﷺ وخَصَّ بالمِدْحَة والثناءِ أربعةً منهم، فقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «اسْتَقْرِئوا القرآنَ من أربعةٍ: من ابنِ مسعود، وسالم مولى أبي حُذيفة، وأُبَيٍّ بن كَعْب، ومُعَاذ بن جَبَل»[1]. لفظ مسلم.

ولئن تـأخَّر إسلامُ أبي هريرة وهجرتُه، ففاتَه كثيرٌ مما تنزَّل من القرآن الحكيم، لكنَّ نفسَـه التواقـة للخير، وولاءَه العميـق للإسلام، وعقلَه الوثَّاب، كل ذلك حَمَله إلى السبق لحفظ كتاب الله تعالى، فأقبل على أحدِ أولئك الأربعة الأكابر، الذين أثنى عليهم رسول الله ﷺ وحضَّ الناس على أخذ القرآن عنهم، فلازَمَ أُبيَّ بن كعب وعَرَض عليه القرآن وحفظه عنه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٥٨)؛ ومسلم (٢٤٦٤)؛ والترمذي (٣٨١٠)؛ والنسائي في الكبرى (٧٩٤٢) وغير موضع؛ وأحمد (٦٥٢٣)؛ وابن حبان (٧٣٦) و(٧١٢٢) وغيرهم.